الغزو الروماني لليمن عام ٢٤ق.م والتطلع الأوربي المبكر لغزو الجنوب العربي

زهراء حمزه هادي

أ.م.د. قيس حاتم هاني الجنابي

جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

basic.qais.hatem@uobabylon.edu.iq

The Roman invasion of Yemen in 24 BC And the early European aspirations to invade South Arabia

Zahraa Hamza

Prof. Dr. Qais Hatem Hani Al-Janabi

University of Babylon/ College of Basic Education

المستخلص

تتميز اليمن بموقع جغرافي مهم جداً، لاسيما في العالم القديم، إذ كان حلقة الوصل بين حضارات تلك الحقبة، فنقلت التجارة من موانئ المحيط الهندي إلى شمال شبه جزيرة العرب، ومن هناك إلى باقي أصقاع المعمورة، الأمر الذي درَّ عليها أموالاً وفيرة، فأصبحت تمتلك اقتصاداً قوياً في ذلك الوقت، وظهرت في اليمن القديم العديد من الدول التي حكمت تلك المنطقة لمدة طويلة من الزمن امتدت من أواخر الألف الثاني قبل الميلاد مع ظهور الدولة المعينية، وانتهت مع سقوط الدولة الحميرة بيد الأحباش عام ٥٢٥م.

الكلمات المفتاحية: اليمن، الرومان، غزو، التجارة، أليوس جالوس.

Abstract

Yemen is distinguished by its very important geographical location, especially in the ancient world, as it served as a link between the civilizations of that era. Trade flowed from the ports of the Indian Ocean to the northern Arabian Peninsula, and from there to the rest of the world, generating abundant wealth and enabling it to possess a strong economy at that time. Many states emerged in ancient Yemen, ruling the region for a long period, beginning in the late second millennium BC with the rise of the Minaean Kingdom, and ending with the fall of the Himyarite Kingdom to the Abyssinians in 525 AD.

Keywords: Yemen, Romans, conquest, trade, Aelius Gallus.

المقدمة

خلال الحقبة الطويلة التي سادت فيها اليمن على تجارة العالم القديم، لم تتعرض اليمن إلى غزو حقيقي قبل عام ٢٤ق.م، إذ كانت محاولات السيطرة عليها قليلة جداً إذا ما قورنت بغيرها من البلدان المعاصرة لها، فمحاولات غزوها من الدول الكبرى المعاصرة لها اصطدمت ببعد المسافة بينها وبين بلاد اليمن، وصعوبة الوصول إليها حال دون تعرضها لغزوات كبرى، وبقيت اليمن بمنأى عن الغزاة لمدة طويلة من الزمن، وكانت تطلعات الامبراطوريات التي ظهرت في أوربا للسيطرة على اليمن القديم تقف عاجزة أمام تحقيق هذا الهدف، وفي أواخر القرن الأول قبل الميلاد، حاولت الإمبراطورية الرومانية تحقيق حلمها في مد نفوذها إلى موانئ الجنوب العربي القديم، والسيطرة على تجارة المحيط الهندي، فجهزت حملة كبيرة لتنفيذ حلمها هذا، وجهزت جيشاً كبيراً لا يستهان به، إلا أن الحملة بائت بالفشل الذريع، ولم تحقق أي من أهدافها بسبب الظروف البيئية التي رافقت الحملة، وبسبب بعد المسافة ومقاومة اليمنيين لهذه الحملة، ونحاول في بحثنا هذا بيان تفاصيل هذه الحملة وسير الأحداث التي رافقتها وما آلت إليه وكيف انتهت، وأسباب كل ذلك.

اليمن ما قبل الغزو

تعد حقبة حكم الدولة الحميرية من أشد الحقب تعقيداً في تاريخ اليمن القديم، على الرغم من كثرة النصوص التي جاءت منها، فضلاً عن أنها من أكثر الممالك اليمنية التي ورد ذكرها عند المؤرخين العرب والكلاسيكيين، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الفجوات والتناقضات القائمة بين تلك النصوص تجعل من الصعوبة ترتيبها للحصول على صورة واضحة(١).

وظهرت خلال هذه الحقبة أسر مختلة تحمل لقباً واحداً هو لقب (ملك سبأ وذي ريدان)، سواء أكان هؤلاء الملوك هو أذواء ريدان أو ملوك ينتمون إلى قبائل أو مدن أخرى، إلا أن ما يميزهم هو حملهم لهذا اللقب (ملك سبأ وذي ريدان) الذي عرف بلقب الحميريين، وكانت قبيلة (همدان) بفروعها هي إحدى قبائل (حمير)(٢)، أو ترتبط معها بالنسب في سبأ بن يشجب(٣)، و(ريدان) هي المساكن الرئيسة لـ(حمير)، ولو عدنا إلى لقب (ملك

(١) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٧٩.

(٢) الهمداني، أبي محمد الحسن، الإكليل، تحقيق: نبيه أمين فارس، دار الكلمة – صنعاء، ودار العودة – بيروت، (د.ت)، ج٢، ص١١٦.

(٣) ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٩٦.

سبأ وذي ريدان) لوجدناه يتكون من المزج بين لقبين: الأول (ملك سبأ) وهو لقب الملوك القديم في (مأرب) حاضرة (سبأ)، والثاني (ذو ريدان)، وهو لقب زعماء (أذواء حمير)، وهذا يعني أن من يتلقب بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) إنما يعلن نفسه ملكاً لجهتين هما (مملكة سبأ) و(دولة بني ريدان)، أي أنه (ملك سبأ) وأنه أيضاً (ذو ريدان) في الوقت نفسه(٤).

وعثر الباحثون على نقوش أرخت بالتقويم العربي الجنوبي الذي يرجع عهده إلى سنة ١١٥ق.م (١٠٩ق.م) عثر عليها في أراض حميرية(٥)، وعرف هذا التقويم بالتقويم الحميري، وعليه فقد أطلق العلماء (ملوك الدولة الحميرية) على ملوك اليمن الذين تلقبوا بلقب (ملك سبأ وذي ريدان)، وهذا اللقب في حقيقة الأمر هو اللقب الرسمي لدولة حمير منذ أن بدأت تنافس سبأ سلطانها في المرتفعات اليمنية في القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبح بعد ذلك لقبها مع إضافات أخرى تالية حين تمكنت من توحيد اليمن كله في أواخر القرن الثالث الميلادي، وبقيت كذلك حتى الربع الأول من القرن السادس الميلادي.

نشأت الدولة الحميرية وبرزت في زمن ضعف الدولة السبئية، فأخذت توسع أراضيها تدريجياً، لاسيما عندما سيطرت على الأراضي المرتفعة الخصبة وكذلك عندما سيطرت على ميناء (موزع)[٦] السبئي، وهذا يعني أن (حمير) دخلت في حروب ونزاعات طويلة مع مملكة (سبأ)، وليس بين أيدينا نقوش تتحدث عن هذه الحروب، وكل ما يرد من تواريخ لزمن حدوث هذه الحروب ليس إلا تخمينات وتقديرات دفعت المؤرخين إلى الاعتقاد بأن التاريخ الذي لابد وأن يكون زمن هذه الصراعات هو ضعف مملكة (سبأ)، لاسيما خلال الغزو الروماني لليمن بقيادة (اليوس جالوس) سنة ٢٤ق.م[٧].

على الرغم من أن الإخباريين العرب يؤكدون أن انهيار سد مأرب (العرم) كان السبب الذي أدى إلى سقوط مملكة (سبأ)، إذ يذكرون أنه لم يكن لهم غنى عنه لري أرضهم رياً منظماً، مستندين في ذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لهذه الحادثة على أنها عقاب أنزله الله سبحانه وتعالى بأهل (سبأ)، إلا أن هذا الخراب الذي حل بمملكة سبأ لابد وأن يكون قد حدث تدريجياً قبل انهيار السد بزمن طويل، إذ لا يعقل أن تزول دولة بأكملها دفعة واحدة

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٨-١٩٧٣م، ج٢، ص٨٠.

(٥) Wissmann, H. Von, Himyar Ancient History, Le Museon, 77-3, 1964, p.429.

(٦) بفتح الزاي موضع باليمن، ويقع على ساحل البحر الأحمر من جهة تهامة اليمن. (الحموي، ياقوت بن عبد الله ن معجم البلدان، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٢٢١).

(٧) Wissmann, Himyar, p.449.

بسبب انهيار السد، كما كان السبئيون يعتمدون في تجارتهم مع الهند على معرفتهم بأوقات الرياح الموسمية واتجاهاتها في البحر العربي والمحيط الهندي، وعدو هذه المعرفة سراً خاصاً بهم لم يبوحوا به لأحد، مما مكنهم من احتكار تجارة الهند التي كانت تأتي بأرباح طائلة(٨)، إلا أن أحد الملاحين الرومان وهو (هبارخوس) استطاع أن يعرف مواعيد الرياح الموسمية، وعلمها بدوره إلى غيره من الملاحين الرومانيين، فأخذت السفن الرومانية والمصرية تبحر في المحيط الهندي وتجلب البضائع من الهند وجنوب آسيا من دون الحاجة إلى وساطة اليمنيين، وبطبيعة الحال فإن هذا الوضع الجديد أدى إلى ضعف الطريق البري الذي كان يسير من عدن مخترقاً الهضبة اليمانية إلى وسط الحجاز، وهذا التحول في الطريق التجاري أدى إلى انحطاط مدن الهضبة اليمانية التي كانت تعتمد في اقتصادها على التجارة المارة بهذا الطريق، وفي الوقت نفسه فإن هذا التحول في الطريق التجاري إلى البحر أدى إلى ازدياد أهمية المدن اليمنية الواقعة على ساحل البحر الأحمر، فزادت مواردها، ولما كان العامل الاقتصادي أهم عوامل بروز القوة، فإن هذه المدن الساحلية أصبحت أكثر قوة من مدن الهضبة اليمانية، فانتعش الحميريون الذين كانوا يسكنون في المنطقة الساحلية، وازدادت قوتهم[٩].

وكثيراً ما أشارت الكتابات السبئية إلى حالات الصراع والعداء التي تسود العلاقات بين (حمير) و(سبأ) وباقي القبائل القوية التي كان لها دور في ذلك الصراع[١٠]، وذكرت هذه الكتابات السبئية أن من بين أقوى الخصوم الذين واجهوا مملكة (سبأ) خصومهم في الجنوب والتي كانت تسميهم (حمير) و(ذي ريدان) أو (بني ريدان)، كما ذكرت ملوكهم (ذمر علي ذي ريدان) و(شمر ذي ريدان) و(كرب إل ذي ريدان)، والملاحظ أن السبئيين لم يهملوا أو يحذفوا (حكام حمير) بل ذكروهم بنعوتهم وألقابهم[١١]، وهذا ما يدلل على اعتراف ضمني بهؤلاء الملوك الذين يبدو أنهم قد فرضوا أنفسهم على ملوك (سبأ) رغماً عنهم.

كان الحميريون يغزون أرض حضرموت ويتحرشون بطرق تجارتها، ولاسيما الطريق الذين يربط بين (شبوة) و(قنا)(١٢) المؤدي إلى المدن الجنوبية والساحل، لذلك اضطرت حضرموت إلى

(٨) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٢٨.

(٩) صالح أحمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ص٢٨-٢٩.

(١٠) Wissmann, Himyar, p.451.

(١١) Ibid, p.451.

(١٢) قنا: بفتح أوله وثانيه مقصور على وزن فعل موضع من ديار بني ذبيان. (البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص١٠٩٥).

إقامة سور من حجارة قوية سد وادي (لبنا) (لبنه)، ووضعوا فيه باب لمرور المارة ويحرس هذا الباب حراس أشداء، ويبدو أن إقامة هذا السور كان قبل سنة ٤٠٠ ق.م[١٣].

وقد تربع على عرش (سبأ) في حدود سنة ١٨٠ق.م (وهب إل يحز) الذي لا يعرف اسم أبيه وهو من عشيرة مرثد البكيلية أي أنه من قبيلة (همدان)، وفي عهده قامت الحرب بينه وبين الريدانيين (الحميريين) الذين هدفوا من وراء حروبهم هذه إلى انتزاع عرش (سبأ)، ولما لم يتمكنوا من هدفهم هذا اضطروا إلى الاتحاد مع السبئيين في عهد الملك (إل شرح يحضب) الذي تلقب بلقب (ملك سبأ وذي ريدان)، وكان هذا التحالف الذي تم بين (الريدانيين الحميريين) و(البكيليين الهمدانيين) موجهاً ضد محاولات الفرع الرئيس الثاني لقبيلة (همدان) من بني (حاشد) أصحاب المطامع في عرش (سبأ)، وما كان هذا التحالف الذي تم بين (الريدانيين الحميريين) و(البكيليين الهمدانيين) إلا توطئةً وتمهيداً من الريدانيين للاستيلاء على عرش (سبأ)[١٤]، وهذا ما حصل بالفعل فيما بعد.

خلف (وهب إل يحز) على عرش (سبأ) ابنه الملك (كرب إل وتر يهنعم) وذلك في حدود سنة ١٦٠ق.م[١٥]، ثم اغتصب عرش (سبأ) (يرم أيمن) الهمداني من فرع حاشد، ودخلت (حمير) بحروب مختلفة مع مملكة (سبأ)، وهذا ما يشير إليه النقشان الموسومان (GI 1359,1360)(١٦)، اللذان بَيَّنا الجهود التي بذلها كل من (يرم أيمن) و(برج يهرحب) في عقد الصلح بين ملوك (سبأ) و(أذواء ريدان) و(حضرموت) و(قتبان)، وذلك بعد الحرب التي دارت بن هذه القوى في كل البلاد، وتمكن (يرم أيمن) الذي كان (قيلاً) على (سمعي)(١٧) من كسب ثقة ملك (سبأ) (كرب إل وتر يهنعم) بسبب الوساطة التي قام بها والتي كانت خير ممهد له لبلوغ عرش (سبأ)، وهذا ما نراه في نقش قصير لاحق يلقب (يرم أيمن) بلقب (ملك سبأ)(١٨).

ففي النقش الموسوم (JA565) يذكر أن جماعة من (جدن) قدموا نذراً عبارة عن (صنم) إلى الإله (المقه) لأنه وفقهم في الغارة التي أسهموا فيها بأمر سيديهما (ملكي سبأ): (يرم أيمن) وأخيه [أي حليفة لأنهما متآخيان بتحالفهما] (كرب إل وتر يهنعم)، ويلاحظ من هذا النص أنه قد قدم اسم (يرم أيمن) وبلقب (ملك سبأ) قبل الملك الأصلي (كرب إل وتر يهنعم)، ويبدو أن الوساطة التي قام بها (يرم أيمن) قد أطلعته على مواطن الضعف في ملك

---

(١٣) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ص٥١٨-٥١٩.

(١٤) محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط٤، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م، ص٨٥.

(١٥) Philpy, J.B, The Background of 97. Islam, 1947, p.

(١٦) نقلاً عن: جواد علي، المفصل، ج٢، ص ص٣٥٨-٣٥٩.

(١٧) وهم من حاشد، وهي من القبائل التي شكلت إمارة أو مملكة تلقب حكامها بلقب (ملك سمعي) كما جاء في النقش الموسوم (chi27)، وسمعي هنا تمثل تحالفاً بين (حاشد) و(بكيل) لمنافسة (سبأ) و(حمير). (مطهر علي الإرياني، في تاريخ اليمن، دار الهنا، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١١٢).

(١٨) جواد علي، المفصل، ج٢، ص٣٥٩.

(سبأ) المذكور وعلى الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها لتنفيذ مطامعه في العرش[١٩]، لذا فقد اضطر على ما يبدو الملك (كرب إل وتر يهنعم) على إشراك (يرم أيمن) في الحكم واعترف به ملك على (سبأ) سواء كان برضاه أو من دون رضاه، فأصبح هناك ملكان يحملان لقب (ملك سبأ) في وقت واحد.

وقد أدى سير الأحداث السياسية وطبيعة الظروف الاقتصادية الجديدة في اليمن إلى أن تأخذ قبيلة (حمير) مركز الصدارة في الدولة، فأخذ اسمها (Homeritae) يزداد وروداً في المصادر اليونانية والرومانية إلى جانب اسم (السبئيين) أو مكانهم[٢٠]، وقد دفعت هذه الظروف الجديدة الحميريين ليضموا مدينة (مأرب) عاصمة الدولة السبئية إلى ممتلكاتهم، غير أن زمن ضم هذه المدينة لـ(حمير) ما زال مجهولاً، ويحتمل أن يكون في حدود عام (٢٤ق.م) أو بعد هذا التاريخ بعام عندما ضم ملك (ذو ريدان) مدينة (مأرب) إلى مملكته، لذلك أخذ الملك الحميري لقب (ملك سبأ) إلى جانب لقبه (ذو ريدان) وجعله لقباً رسمياً وأصبح الملك الحميري يلقب بلقب (ملك سبأ وذو ريدان)[٢١]، وقد استطاع (أقيال سبأ) في منطقة الأراضي المرتفعة غرب مدينة (مأرب) من إبعاد ملك حمير عن مدينة (مأرب) بعد مدة قصيرة من الزمن، وأعادوا الحكم إلى الأسرة الملكية السبئية التقليدية وحكموا باسم (ملك سبأ وذو ريدان)، وهذا اللقب الجديد لم يتخل عنه ملك (حمير) في (ظفار) الذي أبعد عن (مأرب) بل احتفظ به كذلك، لذا فإننا نجد ملكين يحملان هذا اللقب أحدهما في (سبأ) وعاصمته (مأرب) والآخر في (حمير) وعاصمته (ظفار)[٢٢]، ويحتمل أن يكون الحميريون قد استطاعوا في هذه الحقبة من الاستيلاء على ميناء (قنا) في ميناء (قنا) في أثناء حروبهم ضد حضرموت[٢٣].

والحقيقة أن (حمير) استطاعت بعد ذلك من ضم العاصمة السبئية (مأرب) مرتين: الأولى في سنة (١١٠م) والثانية في سنة (٢٠٠م)، وبظهور (حمير) اختفى اسم (سبأ) عند الكتاب اليونان والرومان إذ لا نجد لهم ذكراً في مؤلفات القرن الرابع الميلادي نهائياً[٢٤].

ولم يستفد من هذا الصراع بين فرعي همدان (بكيل) و(حاشد) سوى (الريدانيين الحميريين) الذين استغلوا وعملوا منذ حدوثه على توسيعه لإضعاف الطرفين، وبهذه الطريقة تمكنوا من القضاء عليهما

---

(١٩) Jamme, Sabaen Inscription from Mahram, Baltimar, Johns, Hopkins, 1962, p.97.

(٢٠) سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٩٣.

(٢١) Philpy, J.B, The Background of Islam, 1947, p.102.

(٢٢) منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م، ص٢٥٠؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص٣٤٤.

(٢٣) Wissmann, Himyar, p.449.

(٢٤) Philpy, The Background of Islam, p.102.

معا وانتزاع الملك منهما والاستقلال به لأنفسهم، وكان (الحميريون) في سبيل ذلك قد قاموا بمعاونة السبئيين المرثديين بحكم التحاف القائم بينهم، وقد كتب النصر لهم، وصبغت الدولة منذ ذلك الوقت بالصبغة الحميرية، وصار اسم حمير يطلق على مملكة (سبأ وذي ريدان) ابتداء من حكم الملك (ياسر يهصدق) في حدود سنة ٦٠ق.م.

سير الحملة الرومانية على اليمن

لقد كان للرخاء الذي عم ممالك شبه الجزيرة العربية قديماً، وانتعاش المناطق فيها، السبب الرئيس الذي حمل الدولة الرومانية من محاولة السيطرة على اليمن وإخضاعها، فالإسكندر المقدوني كان هدفه قبل موته السيطرة على شبه الجزيرة العربية[٢٥]، والبطالمة حكام مصر كانت لهم أطماع فأقاموا المستعمرات على الشاطئ الأفريقي تحقيقاً لهذا الغرض[٢٦].

وبعد ذلك أخذت روما تمد نفوذها في الشرق، فاستطاع (بومبي) أن يستولي على سوريا وفلسطين (٢٧)، ثم استطاعت روما وضع نهاية لسلالة البطالمة في مصر وذلك في عام ٣٠ق.م على يد (يوليوس قيصر)، وبعد أن سيطر الرومان على شواطئ البحر المتوسط وعلى معظم المنافذ المؤدية إلى الجزيرة العربية، فضلاً عن مدخل البحر الأحمر، حاولوا التحكم في تجارة البخور، واستطاعوا السيطرة على الطرف الشمالي لطريق البخور (٢٨)، وليحولوا البحر الأحمر إلى بحيرة رومانية، فيتحقق هدفهم الاستراتيجي في ربط مناطق ممتلكاتهم ونفوذهم في بلاد الشام من جهة، ومصر وشمال أفريقيا من جهة أخرى (٢٩)، واستكمالا لمخططهم هذا فكروا في السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، وسير الإمبراطور الروماني (اوغسطس) في سنة ٢٤ق.م حملة بحرية وبرية لهذا الغرض[٣٠]، ولاسيما أنه أدرك ما تصرفه روما سنوياً من الأموال على البخور والأفاوية، لذا فقد أراد أن يضم إلى إمبراطوريته

(٢٥) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٨٦.

(٢٦) عبد اللطيف أحمد علي، محاضرات في العصر الهلنستي، محاضرات مطبوعة على الرونيو بمكتب كريدية أخوان، بيروت، ١٩٧٦م، ص١٥٨.

(٢٧) العلي، تاريخ العرب القديم، ص٢٧.

(٢٨) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩م، ص ص٨٩-٩٠.

(٢٩) أسمهان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، الأردن، ١٩٩٦م، ص١٩٦.

(٣٠) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، ص ص٨٩-٩٠.

البلاد التي تنتج هذه المنتجات، ويبدو أنه توقع ضعف اليمانيين وعجزهم عن مقاومة الرومان، فأوعز إلى حاكمه في مصر (اليوس جالوس) بتجريد حملة لاحتلال اليمن، ما نزال نحتفظ بأخبار هذه الحملة بفضل ما دونه الجغرافي الشهير (سترابو) الذي يعتقد كثير من الباحثين أنه كان يرافق الحملة، ولم نعثر على أخبار هذه الحملة في مصادر أخرى سوى أشارة عند (بلينيوس).

تحدث (سترابو) عن خصائص بلاد العرب الجنوبية، وذكر أن القيصر (أوغسطس) أرسل الحملة لعدة أغراض توخاها هي[٣١]:

١- البحث عن شعوب ومواقع العرب الجنوبية، أي استطلاع هذه المنطقة.

٢- بحث واستطلاع حدود بلاد (الحبش) وأرض (Troglodytes) المقابلة لبلاد العرب، والأقسام المجاورة من البحر الأحمر (يسميه الخليج العربي) التي يفصلها عن العرب مضيق ضيق.

٣- ولعقد معاهدات مع حكومات هذه المناطق أو احتلالها، فقد سمع أن هذه المناطق غنية جداً، وأنها تقايض التوابل بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وهي لا تحتاج إلى استيراد شيء من الخارج أي أنها مكتفية ذاتياً، لذا فقد أراد أن يكون منهم أصدقاء أغنياء، أو يحتل بلد أعداء أغنياء.

٤- فضلاً عن طبيعة العلاقات القائمة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، إذ سعى كل طرف منهما إلى توسيع نفوذه في بلاد العرب لضمها إلى ممتلكاتهم، لذا فقد سعى الرومان إلى تدعيم نفوذهم وتوطيده في الشرق بالدبلوماسية والتجارة المدعومة بقوات حربية كبيرة ونشاط حربي كبير[٣٢].

٥- ويمكن إضافة عامل آخر يتمثل بالعبء الذي سببه تزايد الرعايا الرومان نتيجة سياسة التوسع التي مارسوها، وفي الوقت نفسه تناقص أعداد الفلاحين بسبب انشغالهم بالحملات العسكرية التي كان يجهزها الرومان، فتحولت أراضيهم إلى أراض بور(٣٣)، لذا فقد تضاعفت كميات التبادل التجاري، وحاول (أغسطس) إيجاد ممر غني جداً للرعايا الجدد، فضلاً عن الاستفادة من ذلك في توسيع فتوحاته وتجارته(٣٤).

وقد كلف الإمبراطور الروماني (أغسطس) حاكمه في مصر (اليوس جالوس) لقيادة هذه

---

(٣١) Strabo, the Geography of Strabo Founded by: James Loes London, 1928, XVI, IV, ch.22.

(٣٢) روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٩٢.

(٣٣) لبيب عبد الستار، الحضارات، ط٦، دار المشرق، بيروت، (د.ت)، ص ص١٩٠-٢١٠.

(٣٤) خالد عبد الملك نعمان الحميري، سترابو واليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩م، ص٦٤.

الحملة، وقد أعد هذا القائد لهذا الغرض عشرة آلاف جندي، فضلاً عن ألف جندي من دولة (الأنباط(٣٥))، وخمسمئة من اليهود، وقد هيئت ١٣٠ سفينة خاصة لنقل هؤلاء الجنود، وانطلقت هذه السفن من ساحل المصري للبحر الأحمر لتتجه بهم إلى ميناء (لويكة كومة)(٣٦) حيث انضم إليهم جنود (الأنباط) ، وكان عدد من السفن قد تحطم في أثناء محاولة العبور من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي لعدم ملاءمتها لمثل هذه المهمة التي أوكلت إليها، وبعد خمسة عشر يوماً تمكنت سفن الحملة من الوصول إلى ميناء (لويكة كومة)

على الرغم من المشاق والأهوال التي لاقتها، إذ أصاب المرض جيش (اليوس جالوس) بسبب فساد الماء والطعام، فاضطر (اليوس جالوس) إلى قضاء الصيف والشتاء في هذا الميناء حتى استراح الجيش وتعافى من المرض الذي ألم به وليواصل مسيرته نحو اليمن(٣٧).

وانطلق جيش (اليوس جالوس) من ميناء (لويكة كومة) نحو اليمين، فدخل أولاً إلى أراضي مملكة (الحارث)[٣٨]، إذ يشير (سترابو) إلى أن الملك (الحارث) الذي سماه (Aretas) استقبلهم استقبالاً حسناً ورحب بهم، وهو بحسب ما يذكر (سترابو) من ذوي القربى لملك النبط (عبادة) obadas[٣٩].

ثم واصل الجيش مسيرته، وبعد مسيرة شهر بلغ أرض مأهولة بالأعراب تدعى Ararene (ارارين)(٤٠) وملكها اسمه (Sabos)(٤١)، ومنها

(٣٥) إحدى الدول التجارية التي ظهرت في شمال شبه الجزيرة العربية في بداية القرن السادس قبل الميلاد، وازدهرت دولتهم فيما بين القرن الرابع قبل الميلاد حتى سنة ١٠٦م وهي السنة التي ضمتها فيها (روما) إلى الإمبراطورية الرومانية وسمتها (المقاطعة العربية)، أما عاصمة مملكة الأنباط فهي (البتراء). (البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٥٧).

(٣٦) وهو (الحوراء) أو (ينبع) على ساحل الحجاز، ويعد ميناء النبط الأعظم منه تنقل البضائع الواردة بطريق البحر إلى (بطرا) (البتراء) Petra، ومنه إلى موضع (رينوكولورا) Rhinocolura في (فينيقية) على مقربة من مصر، ثم إلى الشعوب الأخرى، ومنه أيضاً إلى سواحل مصر على البحر الأحمر حيث تنقلها القوافل إلى نهر النيل ثم إلى الإسكندرية.
(Strabo, XVI, IV, ch.22.)

(٣٧) Strabo, XVI, IV, ch.22.

(٣٨) ورد في الكتب الإسلامية اسم قبيلة تعرف بـ(بني الحارث بن كعب) وتقع شمال (نجران) إلى وادي (تثليث) ويرى كلاسر أنها الأرض التي قصدها (سترابو) بأرض (الحارث) وهو (الحارث بن كعب). (جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٠).

(٣٩) Strabo, XVI, IV, ch.24.

(٤٠) هي (عراعران)(عراعرين) من ديار (جنب) قبل (القرحاء). (جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٠).

(٤١) هو تحريف (شعب) أي (قبيلة). (المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠).

انطلق الجيش ليصل إلى Nagrani (نجران) بعد مسير استمر خمسين يوماً، ويصفها (سترابو) بأنها مدينة آمنة وأرضها خصبة ومزروعة، وقد دخلها الرومان على ما يبدو من دون قتال لأن ملكها هرب عند قدوم جيش الحملة(٤٢)، ومن هناك تحرك الجيش ليلاقي أول صدام مسلح مع سكان المنطقة، وذلك بعد مسيرة ستة أيام من نجران، جرت هذه المعركة عند نهر لم يذكر (سترابو) اسمه (ربما يكون نهر غيل الذي يجري في الجوف)(٤٣)، إلا أنه ادعى أن المهاجمين خسروا فيها عشرة آلاف رجل، ولم تكن خسائر الرومان سوى جنديين فقط، ويعزو (سترابو) سبب خسارة هؤلاء المهاجمين إلى تفوق الرومان في العدة التي لديهم، وحسن استخدامهم لأساليب القتال التي تدربوا عليها بشكل جيد، في حين أن أصحاب الأرض كانت تعوزهم الخبرة في القتال، ولم يكونوا يملكون سوى أسلحة بسيطة لم يتدربوا عليها جيداً وهي (السيوف والسهام والرماح وآلات القذف والفؤوس ذوات الرأسين)(٤٤).

ثم أعقب ذلك سقوط مدينة Asca (اسكا)(٤٥) التي سلمها ملكها على ما يبدو من دون قتال، فضلاً عن تسليم مدينة Athrula (أثرولا) هي الأخرى من دون قتال، وبعدها توجهت الحملة إلى مدينة Marsiaba (مارسيابا) (مأرب) (٤٦) ومدينة الRhammanitae (٤٧) (رحامانيتا) الخاضعتين للملك Ilassarus (إل شاروس)، وحاصر (اليوس جالوس) مدينة (مأرب)، وعلم من خلال الأسرى أن أرض التوابل تبعد مسيرة يومين فقط عن (مأرب)، وقد استمر حصار مدينة (مأرب) لمدة ثلاثة أيام، إلا أنه اضطر إلى فك الحصار عنها وتركها لقلة المياه فيها(٤٨).

---

(٤٢) Strabo, XVI, IV, ch.24.

(٤٣) فؤاد حسنين علي، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية (من كتاب التاريخ العربي القديم)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ص٣٠٠-٣٠١.

(٤٤) Strabo, XVI, IV, ch.24.

(٤٥) وهي نشق المعينية. (جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥١).

(٤٦) يرى بعض الباحثين إن Marsiaba ليست (مأرب) بل هي موضع آخر في (الجوف)، فلو كانت هي (مأرب) لما ذكر (سترابو) أنها عاصمة شعب Rhammanitae، كما يحكمه ملكك يسمى Ilassarus. (المصدر نفسه، ج٢، ص٥٤).

(٤٧) هم قبيلة (ردمان) أو (رحمان). (Philpy, The Background of Islam, p.198)؛ في حين يرى بعض الباحثين أنهم (رابان) وكانوا مشيخة أو إمارة يتمتع سادتها بلقب ملك وكانت تابعة لمملكة (سبأ وذي ريدان). (جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٥).

(٤٨) Strabo, XVI, IV, ch.24.

وبعد فشل حصاره لمدينة (مأرب) قفل (اليوس جالوس) بمن بقي معه من جيش عائداً من حيث أتى، فوصل إلى مدينة (نجران) Nagrani بعد تسعة أيام، حيث نشبت حرب بين قوات عربية وجيش (اليوس جالوس)، ولم يذكر (سترابو) خسائر أي من الطرفين فيها، وبعد مسيرة أحد عشر يوماً بلغ الرومان موضعاً يعرف بـ(الآبار السبع) سمي بذلك لوجود الآبار فيه(٤٩)، وبعد أن قطع الجيش الروماني بادية شحيحة المياه وصلوا إلى موضعين أطلق (سترابو) على الموضع الأول Chaalla (٥٠) والموضع الآخر MALOTHAS (٥١) وهو يقع على نهر، ومنه واصلت الحملة مسيرة الرجوع حيث وصلت هذه الحملة إلى قرية Egra (اكرا) أو Negrra (نيكرى)، ويرى (فورستر) (٥٢) أنها (ينبع) (٥٣) الفرضة الشهيرة التي فيها عيون مياه عذبة بعد أن قطعت بادية قاحلة أخرى، وهذه القرية تقع على ساحل البحر وهي من أراض (عبادة)، عاد (اليوس جالوس) بمن بقي معه من جنود إلى مصر، إذ أن (سترابو) يزعم أن الأمراض والأوبئة ومشاق الطريق هي التي أفتكت بجيش (اليوس جالوس)، أما في المعارك فلم يتكبد جيشه إلا سبعة قتلى فقط(٥٤)، كما يذكر (سترابو) أن سبب هذه الخسارة التي لحقت بالجنود تعود إلى Cellaeus (ساليوس) (صالح) الذي وضعه (Obadas 11) (عبادة الثاني) (٢٨-٩ق.م) ملك الأنباط بصفته دليل ومستشار لهذه الحملة، إلا أن (صالح) غش قائد الحملة كما يدعي (سترابو) إذ أبلغ (صالح) (اليوس جالوس) تعذر الوصول من البر لعدم وجود عدد كاف من الجمال، وعدم ملائمة الطرق البرية لعبور هذا الجيش، والذي أراد بذلك إضعاف الرومان وإذلالهم، ليكون سيد الموقف والمتصرف الوحيد في الأمور(٥٥).

(٤٩) يرى (فلبي) أن (الآبار السبع) هي أرض (خيبر) التي اشتهرت بكثرة مياهها.
(Philpy, The Background of Islam, p.101.)

(٥٠) وهو موضع (كحالة) أو (حوالة). (جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥٧).

(٥١) لعله (وادي البيشة). (المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧).

(٥٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨.

(٥٣) (يَنْبُع) بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة بلفظ (ينبع الماء) ... هي عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل. (الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ص٤٤٩-٤٥٠).

(٥٤) Strabo, XVI, IV, ch.24.

(٥٥) Ibid, XVI, IV, ch.22.

ويرى بعض الباحثين أن (إل شاروس) (Ilassarus) هو (إل شرح يحضب)[٥٦]، وكان حينها في نزاع مع (ذي ريدان) أي مع الحميريين، الذين كانوا قد ظهروا للوجود وأخذوا ينازعون الأسرة السبئية على للسيادة على اليمن منذ نحو سنة ١١٥ ق.م وذلك في عاصمتهم (ظفار)، فكان غزو الرومان لليمن في وقت مناسب إلا أن ظروفاً أخرى اضطرتهم إلى التراجع والعودة، فتمكن بذلك (إل شرح) من التغلب على خصومه(٥٧).

وذكر أخبار هذه الحملة كاتب آخر هو (بلينيوس) الذي يذكر أن Caripeta (كاربيتا) (ربما حريب) هي أبعد مدينة بلغتها حملة (اليوس جالوس)[٥٨].

ويرى (كلارس) أن الرومان سلكوا في مسيرهم إلى اليمن طريقاً يقع على حافات (السراة) الشرقية، وذلك ليتجنبوا الاحتكاك بالقبائل الساكنة على الطريق التجارية التي تسلكها القوافل التجارية، ويعارضه (شبرنجر) الذي يذهب إلى أنهم سلكوا طريق وادي (أضم) إلى المدينة، ومنه إلى (نجد) فـ(الفلج)، ومنه إلى (نجران)، أما (فوستر) فيرى إن الرومان بعد أن نزلوا (لويكة كومة)، وهي في نظره (الحوراء) سلكوا طريق (يثرب)، ثم اتجهوا إلى (القصيم) حيث دخلوا قلب نجد، ثم عقبوا بعد ذلك الطريق المؤدية إلى اليمن، فساروا في اتجاه (نجران)، ومنها دخلوا اليمن، فاصطدموا باليمانيين على نحو ما قصه علينا (سترابو) و(بلينيوس)، ولما عادوا سلكوا طريقاً أخرى أقصر وفرت عليهم بعض الزمن، فمروا بـ(نجران) ومنها إلى (الآبار السبع) (العيون السبع) وهي (الحصبة)، وهو موضع يقع على مسافة ١٥٠ ميلاً إلى الغرب من (نجران) ومنه إلى موضع Chaalla ومنه إلى Malothas ، وهي مدينة تقع على نهر (وادي ضنكان)، ويرى أن Malothas هي (تبالة)، ومن (تبالة) إلى (ينبع) حيث أبحر من بقي حياً من الرومان إلى مصر(٥٩).

إن الملاحظ على رواية (سترابو) حول أحداث حملة (اليوس جالوس) هو التهويل الكبير الذي أعطاه هذا الكاتب لقوة الرومان يقابله في الجانب الآخر الضعف الكبير في الصف العربي أصحاب الأرض، فنراه يشير إلى المعركة التي حصلت بين قوات الرومان وأصحاب الأرض الذين خسروا عشرة آلاف مقاتل في حين يجعل من خسائر الرومان لا تتجاوز القتيلين، مع أن هؤلاء العشرة آلاف قتيل هم

(٥٦) فؤاد حسنين علي، تاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، ص٣٠١.

(٥٧) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ص٥٥-٥٦.

(٥٨) فؤاد حسنين علي، تاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، ص٣٠٠.

(٥٩) نقلاً عن: جواد علي، المفصل، ج٢، ص٥١.

أصحاب الأرض، فهل يعقل أن يكون أصحاب الحق بهذا الضعف بحيث أنهم لم يستطيعوا سوى قتل جنديين فقط ممن جاء لغزو بلدهم؟، وهم مرة أخرى أصحاب الأرض الذين يعرفون كل أسرارها وممراتها ومسالكها، فهل عجزوا عن إيقاع مكيدة أو نصب فخ لهذه الحملة؟، و(سترابو) يذكر أيضاً فشل الحصار الذي أقامه (اليوس جالوس) على مدينة (مأرب) وهي كما نعلم عاصمة الدولة السبئية، وفشل حصاره هذا يعني تعذر فتحه لها، مما يعني أن أصحاب الأرض قد قاوموا ولابد أن تكون مقاومتهم كبيرة بحيث أنهم تمكنوا من مجابهة عدوٍ أُعِدَّ أِعداداً جيداً ومدرباً ومحترفاً، ومعه عدته الكبيرة كما يذكر (سترابو) الذي وصف أصحاب الأرض بأنهم قليلو التدريب والتسليح، بل أن قوات (اليوس جالوس) اضطرت إلى الانسحاب أمام المقاومة العربية الرائعة، ونرى أنه على الرغم من حالة التقاتل والتناحر والصراع الداخلي في اليمن، إلا أن الإحساس بضخامة العدو وخطورة التحدي القادم من خلف البحار، دفع هذه القوى المتصارعة إلى التلاقي والتحالف من أجل مجابهة العدو الأكبر المتمثل بالغزاة الرومان.

ويرى الدكتور (جواد علي)(٦٠) أن سبب عدم ذكر المساند (النقوش) لأخبار هذه الحملة، هو لعدم اكتشاف كل المساند، بينما يرى (كلاسر)(٦١) أنه ربما كانت لفظة (ذشامت) التي ذكرت في النقش الموسوم (HA535) هم الرومان المسيطرون على الشام، ولفظة (ذيمنت) هم السبئيون.

النتائج:

١. كان للثراء الذي تمتعت به اليمن بسبب سيطرتها على الطرق التجارية الدور الأكبر في توجه الرومان نحو الجنوب العربي للسيطرة عليه.
٢. رغم كل الجهود التي قادها أليوس جالوس، إلا أن حملته بائت بالفشل ولم تتمكن من السيطرة على اليمن، كما أنه لم يحقق أياً من أهدافه.
٣. تغيرت وجهة نظر الرومان من السيطرة المباشرة على اليمن إلى السيطرة غير المباشرة.
٤. كان طول الطريق وصعوبته السبب الأبرز في فشل الحملة، إذن أن الرومان لم يعتادوا على هكذا نوع من الطرق في ظل جو قاسي وقلة في الموارد الغذائية على طول الطريق.
٥. أثبتت الحملة أن لليمنيين أن لا مناص لهم سوى مقاومة الغازي وتجاهل الخلافات التي كانت سائدة بينهم، إذ نبهتهم هذه الحملة إلى مدى قوتهم باتحادهم.

(٦٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨.
(٦١) نقلاً عن: المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨.

المصادر

١. اسمهان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، الأردن، ١٩٩٦م.

٢. بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

٣. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٨-١٩٧٣م.

٥. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٦. ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

٧. الحموي، ياقوت بن عبد الله ن معجم البلدان، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٨. خالد عبد الملك نعمان الحميري، سترابو واليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.

٩. روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٠. سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٥م.

١١. صالح أحمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٢. عبد اللطيف أحمد علي، محاضرات في العصر الهلنستي، محاضرات مطبوعة على الرونيو بمكتب كريدية أخوان، بيروت، ١٩٧٦م.

١٣. فؤاد حسنين علي، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية (من كتاب التاريخ العربي القديم)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.

١٤. لبيب عبد الستار، الحضارات، ط٦، دار المشرق، بيروت، (د.ت).

١٥. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦. محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

١٧. محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط٤، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م.

١٨. مطهر علي الإرياني، في تاريخ اليمن، دار الهنا، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٩. منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م.

٢٠. منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩م.

٢١. الهمداني، أبي محمد الحسن، الإكليل، تحقيق: نبيه أمين فارس، دار الكلمة – صنعاء، ودار العودة – بيروت، (د.ت).

22. Jamme, Sabaen Inscription from Mahram, Baltimar, Johns, Hopkins, 1962.
23. Philpy, J.B, The Background of Islam, 1947.
24. Philpy, J.B, The Background of Islam, 1947.
25. Strabo, the Geography of Strabo Founded by: James Loes London, 1928, XVI.
26. Wissmann, H. Von, Himyar Ancient History, Le Museon, 77-3, 1964.